الطباعة العربية للكتاب الإباضي أثناء الاحتلال الفرنسي
جهود الحاج عمر بن ابراهيم العطفاوي أنموذجا (1854-1912م)
حاج عيسى الياس، المجلد2، العدد2، أكتوبر 2019، ص ص: 280-315
ردمد: ISSN 2602-618X

الطباعة العربية للكتاب الإباضي أثناء الاحتلال الفرنسي

جهود الحاج عمر بن ابراهيم العطفاوي أنموذجا (1854-1912م)

الدكتور إلياس حاج عيسى، جامعة ابن خلدون- تيارت

The Arabic Printing of the Ibadi book during the French Occupation
The efforts of Hadj Omar Ibn Ibrahim al-Atfawi as a Model (1854-1912)

By Dr. Hadj Aissa Ilyes, University of Ibn Khaldoun -Tiaret
ilyes.hadjaissa@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 14/ 09/ 2019 تاريخ القبول: 16/ 09/ 2019 تاريخ النشر: 22/ 10/ 2019

الملخص باللغة العربية:

يتناول هذا البحث مظهراً من مظاهر المقاومة الثقافية أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، مُمَثَّلاً في الاهتمام باللغة العربية في بيئة محلية (مزاب)، حيث قام أحد مُثقَّفِيها وهو الحاج عمر بن إبراهيم العطفاوي بتمويل طبع العديد من كتب الشيخ محمد بن يوسف أَطْفَيَّشْ بِمالِه الخاص، مع شريك له من بني يسجن يدعى الحاج محمد بن صالح اليَسْجِنِي مُكَلَّفٌ بمتابعة عملية الطبع. نطرح من خلال هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات: من هو الحاج عمر بن إبراهيم، وماهي دوافع ودلالات الاهتمام بكتب الشيخ أطفيّش، وكيف كانت ظروف طبع الكتاب العربي أثناء الاحتلال الفرنسي. من هم الخطاطون الجزائريون وما هي الخطوط المستعملة. تبيّن من خلال التساؤلات أن الدراسة تفتح آفاقاً نحو مواضيع أخرى، كالطباعة الحجرية، والخطاطون الجزائريون، والخطوط العربية. في حين تكمن أهمية الدراسة أنها تستند

إلى ثلاثة عقود تُوَثِّقُ لِشَراكة مؤقَّتة في مجال طبع الكتب، وهي ظاهرة جديرة بالاهتمام، في زمن ساد فيه الجهل وعزّ فيه الطلب على الكتاب.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ الطباعة؛ الحجرية؛ أطفيّش؛ الكتاب.

Abstract: This research deals with the phenomenon of cultural resistance during the French occupation of Algeria, represented in the interest in Arabic in a local environment (Mzab), where one of its intellectuals, Hadj Omar Ben Ibrahim Al-Atfawi financed the printing of many books of Sheikh Mohammed Ben Yusuf Atfayyesh with his own money, with a partner from Beni Yesdjan called Hadj Mohamed Ben Saleh Al-Yosjni in charge of the printing process. We ask through this study a series of questions: who is Hadj Omar Ben Ibrahim, and what are the motives and indications of his interest in the books of Sheikh Atfayyesh, and how were the conditions of printing the Arabic book during the French occupation. Who were the Algerian calligraphers and what are the lines used? The study opens horizons to other topics such as lithography, Algerian calligraphers and Arabic calligraphy. The significance of the study is that it is based on three decades documenting a temporary partnership in the field of book printing, an interesting phenomenon, at a time of ignorance and demand for the book.

Keywords: Algeria; typography; lithograph;

1.مقدمة:

ونحن تتصفّح مطبوعات الشيخ اطفيش الحجرية، أثار انتباهنا وجود شخصية من بلدة العطف، ضمن القائمين على طبع حوالي سبع عناوين من كتب الشيخ، هو حاج عيسى الحاج عمر بن بالحاج (إبراهيم) بن امحمد، وكانت الطباعة بالشراكة مع الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني. وبعد بحث مبدئي وجدنا تعريفا للشريك اليسجني في معجم أعلام الاباضية، باعتباره من أهم المساهمين في طباعة

كتب الشيخ اطفيش، في حين لم نعثر على أثر للحاج عمر بن بلحاج. وما شجّعنا للبحث عن مساهمة الرجل، هو حصولنا على ثلاثة عقود توثّق لشراكة الطبع بين الشريكين، تبيّن أن حاج عمر بن بلحاج كان يقوم بتمويل طبع كتابين من ماله الخاص. بالإضافة إلى عناوين أخرى.

يطرح هذا البحث إشكالية رئيسية، ألا وهي ظاهرة الطباعة العربية للكتاب الإباضي في بيئة محلية (مزاب) عند مطلع القرن العشرين، ونتسائل كذلك عن مساهمة الحاج عمر بن إبراهيم وعن الكتب التي كلّف بتمويلها وعن مجال تخصّصها وحجمها ودلالة ذلك، وعن دلالات الشراكة في هذا المجال؛ إذ يهدف هذا البحث إلى التعريف بأحد الرجال العاملين في حقل العلم بعاطفتهم ومالهم، في زمن ساد فيه الجهل وأنفق فيه عامة الناس وخاصتهم أموالهم على المنازل والأراضي والبساتين في مزاب وعلى حركاتهم التجارية في مدن التلّ، بينما يقدّم لنا هذا الموضوع نموذجاً مختلفاً من عقود الشركات، هي الشراكة في نسخ وطبع الكتاب الإباضي، وبالدرجة الأولى كتب الشيخ اطفيش رائد النهضة العلمية في مزاب آنذاك.

2.بوادر وظروف طباعة الكتاب الإباضي

ساهمت النخبة المزابية مثلها مثل النخبة العربية والإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في نشر التراث الإسلامي، والتفت المزابيون إلى تراثهم ينفضون عنه الغبار، تجسد ذلك من خلال نشر أمهات المصادر الاباضية في العقيدة والفقه والسير والتراجم، وكذا الاهتمام اللافت بتراث عالم الاباضية آنذاك ومجدِّد مذهبهم الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، فطبعت العديد من كتبه في حياته وبعد وفاته. وبالنظر إلى الظروف الاستثنائية التي كانت تعيشها الجزائر تحت ظلمة

الاستعمار الفرنسي، فقد تعدّدت البلدان التي طبع فيها الكتاب الإباضي، كان من أهمها:

1.2.مصر

تأسّست في القاهرة المطبعة البارونية من طرف محمد بن يوسف الباروني النفوسي الليبي سنة 1880م، وكان مقرها في شارع ابن طولون بالجدرية. وقد تمكنت هذه المطبعة من طبع كتب اباضية وغير اباضية في مختلف العلوم، وقد احتلت كتب الشيخ أطفيّش المرتبة الأولى من بين الكتب الاباضية؛ إذ أحصى الباحث أحمد كروم في بحث حول هذه المطبعة ما مجموعه عشر كتب. ويعتبر كتاب حاشية أبي ستّة على قواعد الإسلام للجيطالي أول كتاب صدر عن المطبعة البارونية بطريقة الطبع على الحجر. وقد صرّح مؤسس المطبعة أن نشر الكتاب الإباضي وتوفيره للقراء والباحثين هو بمثابة الدافع الرئيسي لإنشاء المطبعة. ولم يكن يقصد أن تكون متخصّصة في الكتاب الإباضي فقط، فقد كان الباروني واسع الأفق وحريص على طباعة كتب الإسلام باختلاف مذاهبها، فقد أبدى حرصا عجيبا واهتماما شديداً على طباعة كتاب «نظم جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل» وهو في الفقه المالكي. تكبد من أجله رحلة طويلة من مصر إلى بلدة قمار بالجزائر لشراء المنظومة بثمن باهض. ويعتبر كتابي شرح النيل ووفاء الضمانة، من أهم كتب الشيخ اطفيش التي صدرت عن هذه المطبعة.

وكانت المطبعة الأدبية ومطبعة الأزهار الرياضية من بين المطابع التي كانت تهتم بالكتاب الإباضي كذلك

2.2 تونس:

نظراً لإطباق الاحتلال الفرنسي سيطرته السياسية والعسكرية والثقافية على الجزائر فقد تعذّر على الغيورين على الحضارة العربية الإسلامية طبع كتبهم في الجزائر، بسبب قلّة المطابع طيلة القرن التاسع عشر. وأمام هذا الواقع، كان معظم من يهتم بالنشر آنذاك يولي وجهه شطر تونس. وفي هذه الأخيرة كان يقيم بعض المثقفين من أبناء مزاب، منهم الشيخ محمد الثميني، الذي كان له دور في مرافقة بعض أعمال طباعة المزابيين، منها جريدة وادي مزاب لصاحبها أبي اليقظان. ومن خلال العقود التي بين أيدينا فإن حاج عيسى عمر بن بلحاج وشريكه كانا ينويان طباعة كتابي «تيسير التفسير» و»شرح العقيدة» في إحدى المطابع التونسية بحيث وردت عبارة «يطبعاهما في تونس» في عقد الاتفاق المبدئي. وتركا فرصة الاختيار بين الطبع على الحجر أو على الحديد إلى اتفاق ثاني يكون في مكان الطبع، بحيث كان الطبع على الحديد يبدو أكثر تطوراً من الطبع على الحجر. ولشرح الفرق بين الطابعتين نسوق هذه العبارة المقتبسة من الموسوعة التونسية المفتوحة الالكترونية: «وفي عهد المشير الثاني محمّد باي (1855 -1859م) جهزت المطبعة الحجرية بآلات فرنسية، وجعل مقرّها بنهج الحفصية. وكان غرضه نشر التشريعات الرسميّة مثل قانون عهد الأمان (1857). كان ذلك سنة 1274هـ/ 1857م. وبعد سنتين جلب لها الحروف الحديدية» يبيّن هذا النص أن الطبع الحديدي أكثر تطورا من الطبع الحجري، وربما كان أكثر كلفة.

بالإضافة إلى ما سبق نشير أن المطبعة المديرية والمطبعة العلمية كانتا تطبعان بعض العناوين الاباضية

3.2. الجزائر:

شهدت الجزائر لأول مرة الطباعة الحجرية سنة 1847م، وكان نصيب الحرف العربي منها شبه منعدم، باستثناء طباعة جريدة المبشّر. فكل مطابع القرن التاسع عشر كانت فرنسية، وتخدم المشروع الفرنسي في الجزائر، ومن بين أهم المطابع الكولونيالية التي كانت تمثل دار نشر في نفس الوقت، نذكر imprimerie Baconnier التي أنشأها Henri Baconnier (1875–1950) سنة 1895. وتبقى مطبعة Imprimerie Mauguin التي أسّسها Alexandre Mauguin (1838–1906) سنة 1857 بالبليدة، من أهم المطابع فقد اشتهرت بطباعتها للوثائق الرسمية مثل الدفاتر العائلية وبطاقات التعريف. ولم تطبع مطبعة موغان كتابا باللغة العربية إلا في سنة 1905 وهو كتاب »الفوايد في العوايد والقواعد والعقايد« الذي ألفه المدرس الفرنسي جوزيف ديسبارمي Desparmet JOSEPH.

في سنة 1895 تأسّست أول مطبعة جزائرية على يد الكرغلي رودوسي قدور بن مراد التركي الأصل. كانت هذه المطبعة قد نشطت بصورة كبيرة جدا في نشر المؤلفات والكتب الفقهية واللغوية ونذكر من بينها: طباعتها لمتن »مختصر خليل« في الفقه المالكي سنة 1903، بالإضافة إلى اشتهارها في أوساط أجيال من الجزائريين بطبعها للمصحف الشريف عن طريق ورش. ومن بين المطابع الأخرى التي أنشأها الجزائريون نذكر: مطبعة قسنطينة انشئت عام 1920م على يد العلامة عبد الحميد بن باديس. مطبعة النجاح ظهرت عام 1919م لصاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي؛ المطبعة العربية ظهرت عام 1930م لصاحبها أبي اليقظان. المطبعة العلوية لصاحبها مصطفى العلوي. في حين يبدو أن أغلب كتب الشيخ اطفيش التي طبعت في الجزائر كانت في المطبعة الوهرانية. وكان الجزائريون قبل ذلك ومنهم رائد الصحافة الوطنية

الشيخ أبو اليقظان يطبع صحفه (وادي مزاب) في المطبعة التونسية، ويبذل في سبيل نقلها من تونس إلى الجزائر جهوداً مضنية.

3. التنافس على طباعة كتب الشيخ اطفيش:

تنافس المتعاطفون وأتباع الشيخ اطفيش ومحبُّوا العلم على طباعة كتبه كما لم يتنافس من سبقهم ومن أتى بعدهم على عالم في منطقة مزاب، فكانت المساهمات فردية وثنائية وجماعية، وهي بالتأكيد تحمل دلالات اجتماعية واقتصادية وثقافية. وكانت أول مطبوعاته الرسالة الشافية في سنة 1299هـ/ 1881م. وكان حاج عيسى حاج عمر بن بلحاج «إبراهيم» بن محمد العطفاوي، ضمن ثلّة من تلاميذ القطب ومعاشريه ومحبّيه ممّن اطّلع بطبع كتبه رغم التكلفة الكبيرة للنسخ آنذاك، فقد صرّح القطب بذلك وهو يطلب من العمانيين المعونة والتأييد للتخفيف من جلالة أجرة النسخ.» وكان قدر الحاج عمر أن يتكفل بطباعة واحد من أكبر كتب الشيخ حجما وأكثرها شهرةً ألا وهو كتاب تيسير التفسير، الذي يأتي ترتيبه ثالثا من حيث الحجم بعد كتابي شرح النيل وتفسير هميان الزاد، وللدلالة على حجم الإنفاق الذي بادر به حاج عمر بن بلحاج تكفي الإشارة إلى أن كتابا مثل هميان الزاد الذي يعادل كتاب تيسير التفسير في الحجم قد تكفلت به جهة حكومية وهي المطبعة السلطانية بزنجبار.

4.حاج عمر بن بلحاج العطفاوي

ردمد: ISSN 2602-618X

هو حاج عيسى عمر بن بلحاج بن امحمد بن الحاج عيسى، ولد بالعطف في حدود سنة 1854م، [1] وتوفي بها سنة 1912م حسب لفيف وفاة صادر عن مكتب توثيق، في حين وجدنا في عقد قسمة تركته الصادر عن المحكمة الاباضية بالعطف أن وفاته كانت سنة 1913م. [2] تزوّج من حاج امحمد عائشة بنت الحاج بكير بن بهون (المعروفة محليّا بـ: عِيشَة كَلّي)، ورزق معها بكير (ت.1928م) [3] وصالح وإبراهيم ومسعودة. وزوجته الثانية هي فافة بنت قاسم بن حمّو، وله منها من الأولاد محمد (ت.1917م) [4] وعائشة. [5] أخوه هو حاج عيسى صالح بن بلحاج بن امحمد بن الحاج عيسى. كانت لهما أملاك وحركة تجارية واسعة في مدينة الجلفة؛ إذ يعتبران

1- يصعب تحديد التاريخ الدقيق لميلاد الأشخاص الذين توفوا قبل سنة 1934م (سنة تطبيق نظام الحالة المدنية في بلدة العطف)، وبالتالي يكون تاريخ الميلاد على ضوء شهادة شاهدين من خلال السّماع الفاشي والرواية المتواترة. الديوان العمومي للتوثيق، مكتب الأستاذ حاج محمد باحمد بن محمد، موثّق بساحة تيضفت، غرداية، لفيف وفاة الهالك: حاج عيسى الحاج عمر بن بالحاج.

2-عقد قسمة، سجل 48/ عدد 184، المحكمة الشرعية الاباضية ببلد العطف، 8 مارس 1930م

3-زوجته هلّو بنت بهون بن بكلي. عقد قسمة، سجل48/ سجل184، 8 مارس 1930م.

4-زوجته هي عائشة بنت الحاج عمر بن حمّو بن باحمد. عقد قسمة، سجل48/ عدد184، 8 مارس 1930م

5- تزوجت ابن عمّها حاج عيسى حاج محمد بن صالح وأنجبت منه حاج عيسى إبراهيم بن حاج محمد، ويبدو أنها توفيت صغيرة في حياة والدها. حجتنا في ذلك أن اسمها لم يرد في عقد قسمة تركة والدها حاج عمر بن بلحاج. أنظر: عقد قسمة، سجل 48/ عدد 184، المحكمة الشرعية الاباضية ببلد العطف، 8 مارس 1930م

من أوائل الملاك العطفاويين في المدينة. [1] فقد اطلعنا على إحدى العقود التي تم توثيقها سنة 1895م تشير إلى امتلاكهما 21 حانوتا وأربعة أحواش و23 مخزنا في حوزة واحدة. [2] وسط مدينة الجلفة، في المكان الذي اشتهر باسم «الطالب عمر» نسبة له.

5. الكتب المطبوعة

تنوعت الكتب التي ساهم الحاج عمر بن بلحاج في طباعتها بين التفسير (تيسير التفسير) والتجويد (جامع حرف ورش) والعقيدة والتوحيد (شرح عقيدة التوحيد) والحديث (ترتيب الترتيب-شرح الأحاديث الأربعين) والفقه (شرح الدعائم) والجوابات (جواب أهل زوارة). وفيما يلي جدول يوضح عناوين الكتب التي ساهم فيها حاج عمر بن بلحاج بماله. وسنة طبع كل كتاب وعدد صفحاتها. وقد وجدنا نسخاً من هذه الكتب في مكتبة دار التلاميذ «إروان» ببلدة العطف

01-جواب أهل زوارة:

02-جامع حرف ورش: الخميس اول جمادى الثانية 1325هـ/ 1907م

03-تيسير التفسير: من 20 ذو القعدة 1325 إلى 15 رجب 1326هـ / 1907-1909م طبع في ستّة أجزاء

04-شرح الدعائم: ج.1، 2، 1325هـ/ 1907م

1-عقد هبة، سجل12/ عدد447، المحكمة الشرعية الاباضية ببلد العطف، 24 أكتوبر 1895م؛ كعباش محمد سعيد، جيل النهضة والإصلاح، ص.84

2-عقد هبة، سجل12/ عدد447، المحكمة الشرعية الاباضية ببلد العطف، 24 أكتوبر 1895م

05-ترتيب الترتيب: أواخر محرم 1326هـ/ 1908م، ثمنه فرنكان ونصف مع أجرة حمله إلى خارج الجزائر

06-شرح العقيدة:

07-طبع معه شرح الأحاديث الأربعين: 1326هـ/ 1908م، سعرهما 11 فرنك داخل الجزائر وخارجها

08-كتاب في معجزات سيد الأولين والآخرين: أواخر جمادى الثانية 1325هـ، ثمنها فرنكا وثمانية صولديا

1.5.تيسير التفسير

من أشهر تفاسير الشيخ اطفيش، وهو من بين ثلاثة تفاسير، الأول هو هميان الزاد إلى دار المعاد أتمّ تأليفه سنة 1271هـ/ 1852م وهو في سن 34 سنة، وقد طبع مرتين مرة طبعة حجرية من السلطان برغش في المطبعة السلطانية بزنجبار من 1305 إلى 1314هـ في 14 جزءاً. [1] والثانية في عمان من طرف وزارة التراث القومي والثقافة في 15 جزء سنة 1991م. والتفسير

1-ظهرت المطبعة السلطانية عام 1870م بواسطة السلطان برغش بن سعيد حاكم زنجبار (1870-1888م) أحضر الآلات من الهند وجلب عمالا من لبنان، وطبعت فيها العديد من المؤلفات العمانية والمغربية منها هميان الزاد، وهي شاهد على النهضة العمرانية والثقافية في زنجبار وعلى التأثير العماني وعلى النضج في التأليف والطبع عند العمانيين. أنظر: زياد بن طالب المعولي، مطابع النهضة...مسيرة عمل، ضمن كتاب: حركة الطباعة العمانية وأثرها في التواصل الحضاري، تحرير: وليد فكري فارس وآخرون، ذاكرة عمان، سلطنة عمان، ط1، 1440هـ/ 2018م، ص.42-43

الثاني هو داعي العمل ليوم الأمل، والراجح أنه لا يزال مخطوطا وما هو متوفر منه لا يمثل كل التفسير. [1]

في حين يعتبر تيسير التفسير أحد أشهر التفاسير الاباضية، ألفه الشيخ اطفيش بعد أن تجاوز سنّ الثمانين، والكتاب قد طبع ثلاثة طبعات، الأولى الطبعة الحجرية وهي لصاحب ترجمتنا وشريكه، والطبعة الثانية كانت سنة 1988 على نفقة وزارة التراث القومي والثقافة العمانية في 15 مجلدا من دون تحقيق، ثم الطبعة الثالثة من تحقيق الشيخ طلاي إبراهيم بمساعدة ثلّة من الباحثين في 2004م ونشر وزارة التراث والثقافة العمانية، وهي تقع في 17 جزءاً. ثم أعيد نشره في طبعة قشيبة أنيقة سنة 2018م.

بالعودة إلى الطبعة الحجرية فإنها تقع في ستة أجزاء وسبعة مجلّدات. تم الفراغ من طباعة الجزء الأول في 20 ذو القعدة 1325هـ/ 1907م. وحسب الشيخ طلاي فإن الطبعة الحجرية قد عرضت على المؤلف من طرف تلميذه حمو بن باحمد بابا وموسى (1863-1957م) [2] فيها تعليقات وتصحيحات القطب بخط يد تلميذه، في سنة 1327هـ.

2.5. كتاب شرح الدعائم

هو شرح على بعض المنظومات في العقيدة والفقه لأحمد بن سليمان بن عبد الله ابن النظر والمشهور بابن النظر العماني (ت.690هـ/ م) المسمّى

1- اطفيش. الحاج محمد بن يوسف، تيسير التفسير، تح: إبراهيم طلاي، ج1، (من كلام المحقّق)، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2004م، ص. غ، ظ، أ أ.

2- حول ترجمته أنظر: جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص.124-125

بالـدّعائم، وقـد شـرحها أكثـر مـن عـالم، مـن أشـهرها: شـرح الرقيشـي وشـرح الشيخ اطفيّش. وهي مـن الكتـب الـتي طُلِـب مـن القطـب طبعهـا. [1] فكـان الطبـع في جـزأين. وقـع الشـروع في طبـع الجـزء الأول في أواخـر جمـادى الأولى سـنة 1325هـ، والفـراغ مـن طبعـه في أواسـط ربيـع الثـاني 1326هـ، أمـا الجـزء الثاني فقد تم الفراغ من طبعه في أواخر شهر صفر من عام 1326هـ

3.5.كتاب جواب أهل زوارة ويليه جامع حرف ورش

الكتـاب عبـارة عـن أجوبـة لأسـئلة بعـث بهـا بعـض علمـاء مدينـة زوارة الليبية إلى الشـيخ محمـد بـن يوسـف اطفـيش، وهـي أسـئلة قديمـة مبثوثـة في كتـب السـير والتراجـم الاباضـية أثارهـا الفقهـاء قـديما وبيّنـوا مـن خلالهـا بعـض أوجـه الشـبه والاخـتلاف بـين الاباضـية الوهبيـة والفـرق المنشـقّة عنهـا، ومعظمهـا في العقيـدة كالسـؤال في الصـفات والأسمـاء والولايـة. وفي الكتـاب عبـارات تفيـد أن أهـل زوارة يشـعرون بالانتمـاء للجماعـة الاباضـية في قـولهم: «إمـام مـذهبنا» ثم هم يعـانون في نفـس الوقـت مـن أزمـة تصـنيف، في قـولهم: «إنـا نشـكو إلى الله العظـيم ثـم إليـك مـن أن النـاس ينسـبون إلينـا مـا لم نقلـه.» وتبـيّن مـن خـلال محطـات الكتـاب أن مرجعيـة أهـل زوارة نكاريـة ممثلـة في شـخص عبـد الله الفـزاري، منهـا قـول الشـيخ اطفـيش: «وكـان الشـيخ عبـد الله الفـزاري إمـام إخواننا أهل زوارة» [2]

1- مكتبة القطب، فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش، يسجن، غرداية، ص.478.

2- محمد بن يوسف اطفيش، كتاب أهل زوارة، طبعة حجرية، ص.5، 9.

ويليه جامع حرف ورش، وهي منظومة من تأليف الشيخ اطفيش في القراءات اتباعا لرواية ورش عن نافع حسب رسم المصاحف المغربية، ويسمى أيضا «تلقين التالي لآيات المتعالي» ثم وضع الشيخ شرحا لهذا النظم بطلب من بعض مالكية معسكر وأحد شيوخ نفوسة. والنظم يحتوي على المسائل البعيدة لصعوبتها، أو عدم شهرتها، وثابت مما روى ورش عن نافع. [1] وقد تم الفراغ من طبع الكتابان يوم الخميس الأول من شهر جمادى الثانية سنة 1325هـ

4.5. شرح العقيدة ومعه شرح الأربعون حديثا

طبع هذان الكتابان ضمن مجموع واحد

الأول هو شرح عقيدة التوحيد، ويتناول الكتاب العقيدة الإسلامية على مشرب الإباضية، وهو شرح لقطب الأئمة الشيخ أحمد بن يوسف اطفيش على كتاب عقيدة العزابة لشيخ أبو حفص عمر بن جميع . ثم حقّقه الباحث مصطفى وينتن تحقيقا علميا، ابتدأه ببسطة عن المتن ومؤلفه، وبالشرح والشارح، وبالمخطوطات التي اعتمدها، وعنوان الأصل ومنهج المؤلف في كتابه .

وتضمن الكتاب مباحث ومسائل متفرعة بداية بأصل الدين، وقواعد وأركان الإسلام والكفر، وكذا الولاية والبراءة والوقوف، وما يسع جهله وما لايسع، ومسالك الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

1- جيلايلي أحمد، الشيخ محمد بن يوسف أطفيش لغويا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد12، 2011م، ص.375.

ردمد: ISSN 2602-618X

إلى أن ذكر الملل الستّ والأنبياء والرسل والملائكة وما تفرع منها من مسائل وأحكام، ثم مسائل الأسماء والأحكام، إلى أن ينتهي بمسائل الإمامة والفرق وغيرها .

وبعض المسائل المتفرقة كعلوم القرآن، والحديث، وأصول الفقه، والفقه، والأدب، والسيرة، والتاريخ، والتراجم.

الثاني هو شرح الأحاديث الأربعين ألّفه الشيخ عبد العزيز بن يوسف بن موسى ابن فضل المصعبي (حي في 964هـ/ 1556م)، وهو من علماء بني يسجن، وقد نسب الكتاب خطأً لضياء الدين عبد العزيز الثميني. [1]

وقد احتضنت هذه الكتب، خزائن المخطوطات المالكية، فحسب فهرسة إحدى خزائن المخطوطات الموجودة في مدينة بوسعادة التي وضعها أحد الباحثين، فإنه أشار إلى المخطوط رقم 10-مجموعٌ فيه:

أ – شرح عقيدة التّوحيد (للشّيخ عبد العزيز بن يوسف بن عيسى طفيش اليَسْجَنِّي المصعبيّ الإباضيّ الوهبيّ، كتب عام1326هـ).

ب – شرح الأربعين النّوويّة (للشّيخ عبد العزيز بن يوسف اليسجنّي المصعبيّ). [2]

5.5. ترتيب الترتيب

1- جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص.257

2- جمال عَزُّون الجزائريّ، أضواءٌ على التّراث المخطوط في الجزائر، الموقع الالكتروني: التصفية والتربية السلفية، تاريخ الدخول: 17:30، الخميس 5 / 9 / 2019

هـو إعـادة لترتيـب مسـند الربيـع بـن حبيـب بعـد ترتيـب أبـي يعقـوب يوسـف الوارجلاني. ومعلوم أن هذا الأخير قد ضمّ إلى المسند:

-آثار الربيع في الحجة على مخالفيه

-وروايات أبو سفيان محبوب بن الرحيل

-وروايات الإمام أفلح عن أبي غانم

-ومراسيل الإمام جابر بن زيد. [1]

وبعـد الـوارجلاني وضـع ابـن أبـي سِـتَّة الجربـي (ت.1088هـ) حاشـية علـى كتـاب الترتيـب، ثـم قـام الشـيخ عبـد العزيـز الثمـيني (ت.1223هـ) بوضـع «مختصـر حواشـي الترتيـب» كمـا وضـع الشـيخ صـالح بـن عمـر لعلـي (ت.1347هـ) حاشـية أخـرى عليـه. ثـم جـاء ترتيـب الترتيـب للشـيخ اطفـيّش وفيـه رتّـب المسـند وتوابعـه حسـب الأبـواب في جـزأين، وطبـع طبعـة حجريـة في الجزائر . [2]

6.5. كتاب في معجزات سيد الأولين والآخرين

اكتشفنا بعد أن أوشكنا على إتمام البحث، كتابا آخر من الكتب التي ساهم الحاج عمر وشريكه في طباعتها، وهو الكتاب المشهور اختصاراً «المعجزات» من تأليف الشيخ يوسف بن حمّو بن عدّون اليسجني (1745-1836م)، من

1- أنظر: الربيع بن حبيب الفراهيدي، كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، جمع وترتيب الامام: أبي يعقوب يوسف الوارجلاني (ت.570هـ)، صحّحه وعلق عليه: الشيخ نورالدين السالمي (ت.1332هـ)، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط3، 2011م.

2- الربيع بن حبيب، ترتيب الترتيب، ص.5-9

ردمد: ISSN 2602-618X

علماء بني يسجن ومن رواد النهضة الإصلاحية في مزاب، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي طبعه الحاج عمر من غير كتب الشيخ اطفيش، والراجح عندنا أن الشيخ اطفيّش هو من أشار وأوصى بطبعه، فقد شهد تلميذه أبو اليقظان في ملحق سيره أن الشيخ كان يذكره باستمرار، وأنه كان مهتما بكتبه، وأن بعض كتبه انتقلت إليه، وهو فوق ذلك جدّ لأمّه. [1]

6.علاقة الحاج عمر بن بلحاج بالشيخ اطفيّش

لا تكشف الوثائق التي بين أيدينا عن علاقة مباشرة بين الحاج عمر بن بلحاج والشيخ اطفيّش، وما يمكن الحديث عنه في هذا المجال هي الأدعية التي كان يخصّصها الشيخ للملتزمين بطبع كتبه في آخر صفحة كل كتاب، وكان نصيب عمر بن بلحاج حافلا؛ إذ حظي بتشجيع الشيخ ومباركته ودعائه له بالخير والبركة، ويمكن تلمّس ذلك في الفقرات الأخيرة من كل كتاب. ففي حالة حاج عمر بن بلحاج، نجد تعابير مختلفة لكنها تحمل مدلولا واحدا هو الدعاء بالصلاح والخير.

- ففي نهاية كتابي جواب أهل زوارة وجامع حرف ورش، في آخر فقرة بعد الإشارة إلى تاريخ الطبع، والملتزمين بالطبع: «على يد ملتزميهما الراجين عفو مولاهما بحول الله وقوته الكريم المعظم السيد الحاج عمر بن الحاج إبراهيم العطفاوي...»

1- أبو اليقظان. إبراهيم حمدي، ملحق لسير الشماخي، القسم الأول، «مرقون»، ص.81-84؛ جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص.486-487

- وفي نهاية الجزء الأول من تيسير التفسير، وبعد ذكر مؤلف الكتاب، وتاريخ الطبع، يتم ذكر ملتزمي الطبع، كما يلي: «على يدي ملتزميه الوارع الكامل التقه الفاضل السيد الحاج عومر بن الحاج إبراهيم ابن محمد العطفاوي.»

- وفي نهاية كتاب شرح الدعائم ج1، قول المؤلف: «أكمل النبلاء وأوحد الفضلاء أسبق الناس في الخير وأبعدهم عن الشر، السيد الكامل وشريكه الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني جعلهما الله من أهل الخير والفلاح والفوز والنجاح، وجعل معهما بركة الشارح والناظم وبركة كل عالم صالح وكل ولي ونبي، وكنفهما بأسمائه الحسنى، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.» وفي نهاية ج2، قوله: «على يدي ملتزميه السيد الفاضل والأديب الكامل الحاج عومر بن الحاج إبراهيم العطفاوي.»

- وفي نهاية كتاب عقيدة التوحيد، قول المؤلف: «الفاضل الوارع والكامل البارع السيد الحاج عمر بن الحاج إبراهيم بن محمد العطفاوي، وشريكه الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني أعانهما الله على أمر دينهما وغفر للمؤلف ولهما وأغناهم بفضله عمّن سواه بجاه نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما.»

- وفي نهاية شرح أحاديث الأربعين، قوله: «صاحب الخصائل المحمودة المشهور بالمجد والفضل السيد الحاج عمر بن الحاج إبراهيم بن محمد العطفاوي وشريكه الحاج محمد بن صالح بن عيسى اليسجني غفر الله للمؤلف ولهما وتغمد الكل في رحمته ويسّر لهما كل معسر بمنه وكرمه ومن أراد لهما سوء انقلب عليه بسرّ اسمائه الحسنى وصلي الله على سيدنا محمد وآله.»

- وفي نهاية هذا الكتاب دائما إشارة في أسفل الصفحة إلى حقوق الطبع المحفوظة للملتزمين، بأمر من المؤلف، وفق القوانين السياسية والعرفية بشروط تامة. وفي بعضها مثل «مجموع عقيدة التوحيد» و»شرح الأربعين حديثا» تصريح بمبلغ الكتاب في واجهته وهو 11 فرنكا في الجزائر وخارجها، وأضاف: «هاته السومة لا تقبل المهاودة» وصرّح بالمبلغ كذلك في كتاب ترتيب الترتيب وهو فرنكان ونصف 2.5 مع احتساب تكلفة النقل خارج الجزائر.

كان واضحا أن الحاج عمر بن بلحاج العطفاوي هو المموّل لعملية الطبع، وأن شريكه اليسجني هو المتكفل بالمتابعة، ففي كل الكتب التي طبعاها كان يتم تسبيق الطرف الأول ويكون له نصيب من دعاء الشيخ له بالبركة والنماء والحفظ. ثم جاءت العقود المكتشفة التي أكّدت صيغة الشراكة بين الطرفين.

7.طبع كتابي التيسير وعقيدة التوحيد من خلال ثلاثة عقود

توصلنا لأول مرّة إلى ثلاثة عقود حول شراكة طباعة كتابين للشيخ اطفيش هما تيسير التفسير وشرح عقيدة التوحيد، بين حاج عيسى حاج عمر بن بلحاج العطفاوي ومحمد بن حاج صالح عشّو اليسجني. وهي عقود كفيلة بكشف بعض الجوانب الغامضة من عملية الطبع الحجري أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1.7.العقد الأول: (انظر الصورة 01)

موضوعه عبارة عن اتفاق: بين طرفين، الأول هو كما ذكر في العقد: «الفاضل الأبجل الأعز الأكمل عمنا الحاج عمر بن الحاج إبراهيم العطفاوي» والطرف الثاني هو «الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني» وكان موضوع الاتفاق هو طبع

كتابين يعتبران من أهم كتب الحاج محمد بن الحاج يوسف اطفيش وهما كتاب التفسير المسمى بالتيسير، وكتاب شرح عقيدة التوحيد. ويكون مكان الطبع في تونس، وتكون فائدة الطبع مناصفة

وقد حدّد العقد واجبات كل طرف بالتدقيق، فحدّد واجب الحاج عمر بن بلحاج كالآتي: «فعلى الأول دفع ما يلزم على الكتابين من جميع المصاريف كالكاغد وأجرة الطبع والتسفير والأسفار والأجير وما يلزم على الكتابين من أول الطبع إلى آخره.» وحدّد واجب الحاج محمد بن الحاج صالح اليسجني كما يلي: «وعلى الثاني القيام بنفسه ويحضر للطبع من أوله إلى آخره أو يقوم مقامه من هو أعرف بأمور الطبع إن حدث عليه ما يمنعه من الحضور إلى آخر الطبع، وإن ناب أحد مكانه فأجرته من ماله لا من مصاريف الطبع.» ولم يحسم العقد في ثلاثة مسائل، هي عدد النسخ من كل كتاب، ونوع الطبعة هل تكون بالحجرية أو بالحديدية، ونوع الخطّ. وتأجّل ذلك إلى اتفاق ثاني يكون بين الطرفين عندما يلتقيان في تونس من أجل الشروع في إجراءات الطبع. وأشار الاتفاق إلى حالة وفاة أحد الطرفين قبل تحقيق الاتفاق الثاني، فلا يلزم ورثته بإتمام الاتفاق، وإنما لهم الاختيار إمّا بالاستمرار في الشركة أو تبنّي أحد الطرفين للأعباء لوحده، فتنفضّ الشركة بينهما. وأشار الاتفاق إلى عدم جواز التراجع في حال بدأ طبع الكتابين. وبعد نهاية الطبع يجتهدان معاً في بيع الكتابين حتّى يسترجع الأول ما دفع من رأس مال، وما بقي من كتب فهو بينهما. ثم يشرح العقد طريقة البيع بالقول: «ولا يقسمان الكتب بل يبيعان ويقسمان ثمنها ولا يجد من أراد قسمة الكتب إلاّ برضا الآخر.» وفي أسفل العقد تاريخ تحريره وهو 18 ربيع الأول 1323هـ، وهو ما يوافق بالتقويم الميلادي سنة 1905م

2.7.العقد الثاني (أنظر الصورة 02)

موضوعه إقرار واعتراف: كتب هذا العقد على ورقة رسمية فيها خاتم (الجمهورية الفرنسية)، بدأ بالحمدلة والتصلية، وختم بأسماء الشهود، وورد اسم الشاهد في نهاية العقد كما يلي: إبراهيم بن مسعود بن سليمان صحّ بوكالة له شرعية صحيحة الحاج عمر بن الحاج إبراهيم بن امحمد العطفاوي. إذاً هو إقرار واعتراف من الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني، أنه وصله من الحاج عمر بن الحاج إبراهيم بن امحمد العطفي منذ اتفاقهم على عمل المطبعة إلى تاريخ هذا العقد (30 أفريل 1909م) عدد 37440 فرنك، وأنه يتصرف في ذلك المال على أمور الطبع والنسخ وغير ذلك، على أن يتحاسبا بعد إتمام العمل على ما بقي. وبعد دفع رأس المال والمصاريف تكون الفائدة بينهما، مثلما هو مبيّن في العقد الأول

3.7.العقد الثالث (أنظر الصورة 03)

انفصال الشركة ومحاسبة: حضر في هذا العقد السيد الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني، وحضر السيد بكير بن مسعود بن بابا عيسى نائبا ووكيلاً عن السيد الحاج عمر بن الحاج إبراهيم العطفاوي، بوكالة شرعية صادرة عن المحكمة الاباضية العطفية. أشار العقد إلى الاتفاق الذي كان بينهما في تاريخ 27 ذو الحجة 1324هـ، والذي يشرح الشراكة التي كانت بينهما في تمويل وطبع وبيع الكتب، وأهم ما في هذا العقد أن التصفية تمّت دون تحقيق شرط بيع جميع الكتب، وقد نصّ الاتفاق في هذه الحالة على عودة ما تبقى من كتب غير مبيوعة إلى الحاج عمر بن بلحاج العطفاوي، كما لم يبين العقد إن كان الحاج عمر قد تمكن من استرجاع رأس ماله من

خلال ما تم بيعه قبل فضّ الشركة. ولو أن صيغة عودة الكتب إلى الحاج عمر في العرف التجاري ترجّح أنه لم يتمكن من استرجاع رأس ماله الذي دخل به في الشراكة، ممّا حتّم عليه استرجاع الكتب المتبقية. ويبدو أن العدد المتبقي من الكتب كان كبيراً؛ إذ عبّر العقد عن ذلك بالقول: «أن الكتب الباقية من غير بيع (...) في الجزائر أو في غيرها من البلاد.»

يؤكد العقد أن كلاهما قد برأت ذمته، مثلما برئت ذمّة الحاج محمد بن الحاج صالح اليسجني من شريكه العطفاوي من أصل وربح، وأشار إلى تاريخ انفصال الشركة بتاريخ 26 أكتوبر 1910م. وختم العقد بأسماء الشهود وهم «الكهل عيسى بن الحاج سليمان بن بهون والسيد صالح بن الحاج محمد بن صالح والسيد باحمد بن محمد بن سليمان اليسجني والشاب باحمد بن محمد بن سليمان عطروش لقباً، وكفى بالله شهيداً.»

8.قراءة ودلالات

- ورد الاسم الكامل لصاحب الترجمة كما يلي: الحاج عومر بن إبراهيم بن محمد العطفاوي، وبالعودة إلى مجموع العقود التي تعود إلى تركة ابنه حاج عيسى صالح بن الحاج عمر، فإنه يرد تارة الحاج عمر بن بلحاج، وتارة أخرى باسم الحاج عمر بن الحاج إبراهيم. وجرى العرف في المنطقة أن تتحول بعض الأسماء المحلية من قبيل بلحاج وبهون وحاجو إلى إبراهيم، في الوثائق بعد أداء ركن الحج، في حين تبقى شهرة الشخص في بلدته باسمه المحلي غالباً.

- يتكفل الطرف الأول بالتمويل المالي للطبع كاملا، ويلتزم الطرف الثاني بمتابعة عملية الطبع، وعلى الرغم أن العقود الثلاثة هي خاصة بكتابين فقط، إلاّ أن الغالب

ردمد: ISSN 2602-618X

لدينا أن الحاج عمر بن بلحاج قد ساهم في باقي الكتب الأخرى بماله، والشريك اليسجني بمرافقة عملية الطبع، وهذا ما يفسّر أن اسم عمر بن بلحاج كان يرد في كل مرة في نهاية الكتاب قبل اسم شريكه اليسجني.

- نرجّح وجود عقد آخر لم نتوصّل إليه، وهو العقد الذي يؤكد على الاتفاق النهائي في تونس، وهو ما أشار إليه العقد المبدئي حيث تمت الإشارة إلى ضرورة التعاقد ثانية في مكان إجراء الطبع (تونس) وحسم قضية عدد النسخ ونوع الخط ونوع الطبع «وأما عدد النسخ من كل الكتابين والطبع بالحجرية أو الحديدية فعلى ما يتفق رأيهما حين يجتمعا في تونس ويكتبا عقداً غير هذا ويذكر عدد النسخ من كل، وكذا الخط.» وعدم وجود هذا العقد لا ينفي التعاقد، فالعقود اللاحقة تؤكد استلام مبالغ مالية وتصفية الشركة. بل أكثر من ذلك فقد وجدنا في عقد تصفية الشركة إشارة صريحة إلى عقد الاتفاق (المفقود) مؤرخ بتاريخ 27 ذو الحجّة 1324هـ، والذي جاء بالتأكيد بعد العقد المبدئي والمؤرخ بتاريخ 18 ربيع الأول 1323هـ.

- العقود تشير إلى ظاهرة معرفية ثقافية صحية في مجتمع يعاني في مجمله من حالة جمود وركود فكري في بداية القرن العشرين، هذه الظاهرة تتمثل في إنشاء شركات مؤقتة في مجال الاهتمام بالكتاب ونسخه وطبعه وتوثيق ذلك بالعقود والمواثيق. وفي حالتنا هذه فإن الشراكة دامت خمس سنوات من 1905 إلى 1910م، قبل وفاة الحاج عمر بن بلحاج بثلاثة سنوات (1913م) وقبل وفاة الشيخ اطفيش بأربع سنوات (1914م). وأثناء هذه الفترة تم تمويل عناوين أخرى أقل حجما وكلفة.

- العقود تشير إلى عقد الاتفاق الحقيقي الذي لم نتوصلّ إليه، وتشير إلى وكالة مستخرجة من المحكمة الشرعية الاباضية ببلدة العطف، وصفها بالمحكمة العطفية، من

دون الإشارة إلى عدد وسجل وسنة صدور الوكالة. ويجب الإقرار أن أهم عقد لا يوجد بين أيدينا وهو الاتفاق النهائي للطبع، ففيه ستكون الإجابة عن نوعية الطباعة ونوعية الخط، والشيء الأهم أنه سيكشف عن عدد النسخ التي طبعت من الكتابين.

- تؤيد العقود المكتشفة ما تتداوله الرواية الشفوية في بلدة العطف من أن الحاج عمر بن بلحاج قد رهن أملاكه في الجلفة ووصل إلى درجة الإفلاس ليبقى ملتزما بطبع الكتب. حجتنا في ذلك أن تكاليف طبع الكتب في تلك الفترة ليس بالأمر الهيِّن، والشيخ اطفيّش نفسه كان يستنهض إخوانه في المشرق لمساعدته في طبع كتبه ويشتكي لهم مشقّة الطبع، والمؤكد أن طبع كتابٍ كالتفسير باعتباره من أضخم كتب القطب، هو التحدّي بعينه. وبعقد مقارنة نرى أن تفسير هميان الزاد قد طبعه سلطان زنجبار في المطبعة السلطانية؛ إذ هي بمثابة مطبعة حكومية. بالمقابل كان الذي طبع تيسير التفسير هو الحاج عمر بن بلحاج بماله الخاص. ومن جهة أخرى فإن اهتمام الحاج عمر بهذين الكتابين وتوثيق طبعهما من خلال عقود عديدة (اتفاق مبدئي، اتفاق نهائي، إقرار واعتراف، تصفية الشركة)، يقف دليلا على حجم الانفاق الذي بادر به.

- تجيب هذه العقود عن بعض الأسئلة التي طرحها بعض الباحثين المهتمين بطباعة كتب القطب، منها سؤال طرحه الباحث العماني سلطان الشيباني حول شخصية الحاج عمر بن بلحاج وشريكه، واعتبرهما من أنشط الذين سعوا في طباعة الكتاب، لكنه تسائل إن كانت لهما مطبعة خاصة أم لا، وبفضل العقود الثلاثة تأكدنا أنهما كانا ينويان الطباعة في تونس وليس لهما أي مطبعة. وفي نفس السياق نعقّب على معلومة أوردها الباحث مصطفى وينتن محقّق كتاب شرح عقيدة التوحيد، حيث كتب أن

الشريكين قد طبعا الكتاب في الجزائر، وكذلك ذهب الشيخ طلاي في مقدمة تحقيقه للتيسير، وهو كلام صحيح على الرغم من أن الاتفاق المبدئي كان يشير إلى تونس.

- بفضل إشارة وردت في نهاية الجزاء الثاني من التفسير، تأكد أن الكتاب طبع في الجزائر، وتمكنا من معرفة الخطاط الذي خطّ التفسير بيده، وكذا المكان، والنصّ هو كما يلي: «على يد كاتبه والجزء الذي قبله عبيد ربّه محمد السّفطي بمسجد سيدي رمضان بالجزائر كان الله له وليا ونصيرا وأعانه على نوائب الخير بجاه سيد الثقلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.» (أنظر الصورة 4) هي إشارة غاية الأهمية قد تفتح آفاقاً لمواضيع أخرى. كموضوع الخط والخطاطون الجزائريون أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- ممّا ذكره المؤرخون أن الشيخ محمد شرادي المعروف بالسفطي المولود (1861م)، كان من كتّاب المصاحف المعروفين يومها، وأنه هو الذي تولى كتابة مصحف رودوسي الشهير (أنظر: الصورة 5)، على ما أفاده العلامة المؤرخ أبو القاسم سعد الله. وهو ما نلاحظه على الصفحة الأولى من المصحف المغربي في إحدى طبعاته (1931م) مكتوب عليها: «كتب بالخط المغاربي من طرف الخطّاط الجزائري الراحل محمد السفّاتي رحمه الله.» ممّا يبيّن أن الحاج عمر بن بلحاج وشريكه قد اختارا لكتابة تفسير الشيخ أطفيّش أحسن النسّاخ وأشهرهم في الجزائر.

- ومما ذكره أيضا أنه كان قيّما على مسجد بالعاصمة يعرف بمسجد سيدي رمضان، وهذا صحيح ومثبت في الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني. ثم صار قيِّما على إحدى المقابر وسط العاصمة، وكان ذا حرفة ودراية بالخط والتغليف والتجليد. وقد ذكر الخطاط الجزائري محمد بن سعيد شريفي أن الشيخ السفطي قد خدم القرآن الكريم

بكتابة المصحف ثلاث دفعات، وقامت بطبع الأولين على الحجر المطبعة الثعالبية لصاحبيها رودوسي أحمد بن مراد التركي وأخيه قدور. ويضيف شريفي أن له مكتب يشتغل فيه بالخط وتسفير الكتب والنقش على الجلد ويتعامل مع الخواص وأصحاب المطابع. وهو كلام يتقاطع تماما مع سياق بحثنا عن طبع كتابي القطب.

- كنّا ذكرنا في وصفنا للعقد المبدئي أن الطرفان لم يتفقا على نوع الخط الذي سيستعملانه في نسخ كتابي: تيسير التفسير وشرح العقيدة، وبالعودة إلى الخط الموجود في الطبعة الحجرية المتوفرة، وبتوصلنا إلى خطّاط كتاب التيسير محمد السّفطي، الذي وصف خطّه الخطّاط الجزائري سعيد شريفي، بالقول: «خط الشيخ السّفطي مبسوط يتميّز بالوضوح، والرّزانة، والانسياب، والرسوّ على السطر بوتيرة موحّدة، تدلّ على تمكّن يده، وصبره الدؤوب على مواصلة الكتابة بنَفَسٍ مركّز ورصين. ويضيف: «إن خط الثلث الذي سطّر بها عناوين مصحفه وسوره، تدلّ على تمكنّه في هذا القلم.»

- إشارة أخرى بالغة الأهمية أوردتها إحدى المراجع عن شخصية عطفاوية تدعى بكلّي بكير بن مسعود (1860–1930م)، وممّا ورد عنه أنه استقر في مدينة الجلفة وعمل فيها شريكا مع السيد حاج عيسى حاج عمر بن بلحاج المشهور في مدينة الجلفة آنذاك باسم «الطالب عمر» والذي كان من أشهر تجار مدينة الجلفة آنذاك. وبالنظر إلى رصيده الديني والمعرفي وإلى ورعه وتقواه، اختارته جماعة المزابيين بالجلفة إماما وواعظا لجماعتها في المدينة. ومن أجلّ الأعمال التي قام بها بكير بن مسعود مساهمته في مراجعة وتصحيح كتاب تيسير التفسير للعلامة الشيخ محمد بن يوسف أطفيّش في طبعته الحجرية، الذي طبعه الحاج عمر بن بلحاج من ماله الخاص. وحسب رواية الشيخ عبد الرحمن بكلّي (البكري) فإن بكير بن مسعود كان المشرف

على الكتاب. وهي شهادة من البكري تفيد أن دور حاج عمر بن بلحاج تجاوز تمويل طباعة الكتب إلى إشراك أصدقائه وشركائه التجاريين في عملية المراجعة والتصحيح.

- بدأ الباحثون مؤخرا يدركون مكانة المساهمين في طباعة كتب القطب، وكان ممّن حظي بالاهتمام حاج عيسى حاج عومر بن إبراهيم الذي جعله الباحث العماني المتميز سلطان بن مبارك الشيباني كواحد من أنشط العاملين في مجال الطباعة رفقة شريكه اليسجني، وقال في هذا الصدد: « رصدت جملة مطبوعات نشرها الشريكان الجزائريان الحاج عومر بن الحاج إبراهيم بن محمد العطفاوي والحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى بن سليمان بن قاسم اليسجني (الشهير بمحمد بن صالح عشّو)، وأكثر مطبوعاتهما تعود إلى عشرينيات القرن الرابع عشر هجري، ولا أدري هل كانت لهما مطبعة خاصة في الجزائر أم لا، غير أنهما كانا نشطين في الطبع، إذ استفتحا مطبوعاتهما بكتاب (تيسير التفسير) لقطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش، في ستة مجلدات كبار سنة 1326هـ، كما كانت منشوراتهما توزّع على نطاق واسع في الجزائر وقسنطينة ووادي ميزاب ومسقط وزنجبار والجزيرة الخضراء، واستطاعا خلال فترة وجيزة إصدار عشرات المطبوعات، جلّها يعتمد الطبع الحجري المكتوب بخط اليد بالقلم المغربي.»

9.خاتمة

لا توجد أي إشارات تؤكد أن الحاج عمر بن بلحاج باعتباره المساهم الوحيد بماله، قد جنا أرباحاً مالية من وراء مساهمته في شركة طبع كتب الشيخ اطفيش. بل إن الشهادات العديدة من عائلته وخارجها تذهب إلى عكس ذلك. وأنه قد رهن أملاكه أو بعضها، من أجل أن يحقّق ما التزم به من تمويل لعملية الطبع. وسبّب له

ذلك إفلاسا ماليا. لكن ما حقّقه من مجد وفخر في سبيل حبّه للعلم والعلماء، وقد رأينا عبارات: الوارع؛ الكامل؛ التقه؛ الكريم؛ المعظّم؛ الفاضل؛ الأديب؛ الكامل، التي حظي بها الحاج عمر بن بلحاج من طرف الشيخ اطفيّش. ونختم بدعاء الشيخ له ولشريكه في أن يجعل سعيهم مشكورا وفعلهم مبرورا ويكونوا ممّن يدبّ ويدافع عن الدّين القويم حتّى يأتيهم اليقين.

ردمد: ISSN 2602-618X

الصورة (1):

اتفاق مبدئي بين الحاج عمر بن إبراهيم العطفاوي وشريكه لطباعة كتابي: تيسير التفسير وعقيدة التوحيد

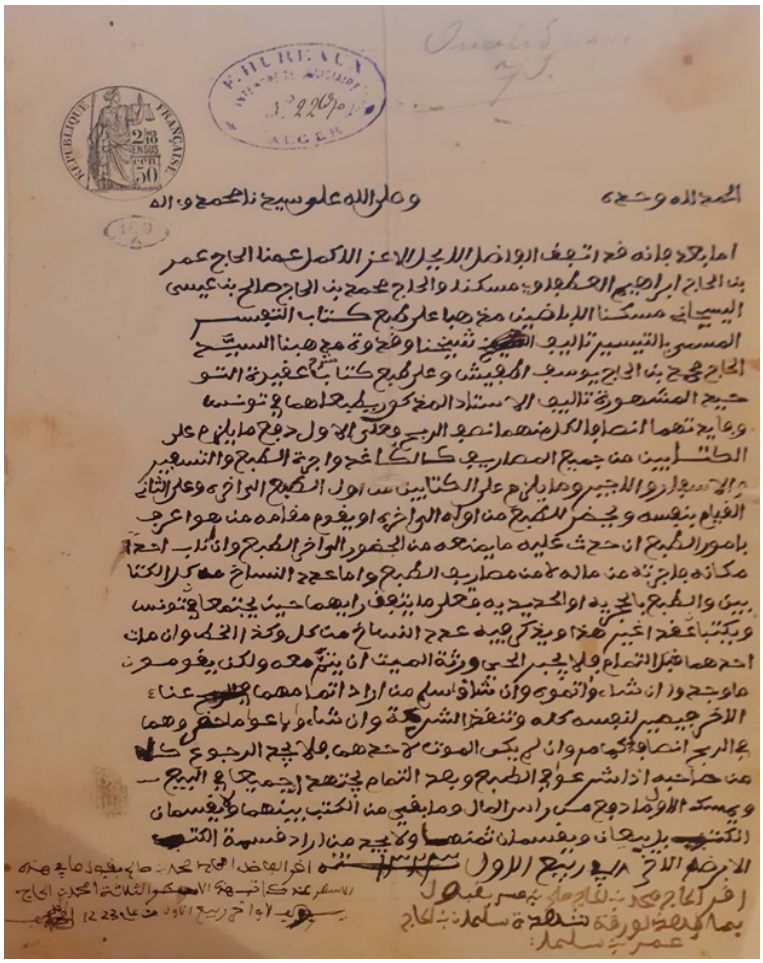

ردمد: ISSN 2602-618X

الطباعة العربية للكتاب الإباضي أثناء الاحتلال الفرنسي

جهود الحاج عمر بن ابراهيم العطفاوي أنموذجا (1854-1912م)

حاج عيسى الياس، المجلد2، العدد2، أكتوبر 2019، ص ص: 280-315

عقد مصوّر بحوزتنا

الصورة (2):

إقرار واعتراف باستلام مبلغ من المال من أجل إتمام أمور طبع الكتب

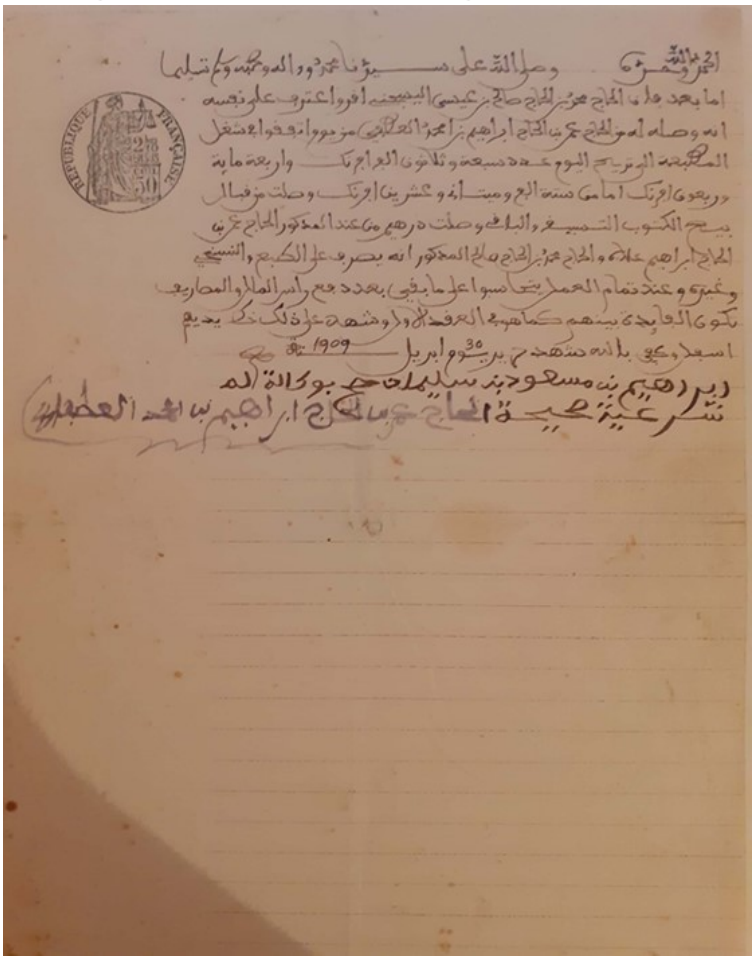

عقد مصوّر بحوزتنا

الصورة (3):

انفصال الشركة والمحاسبة

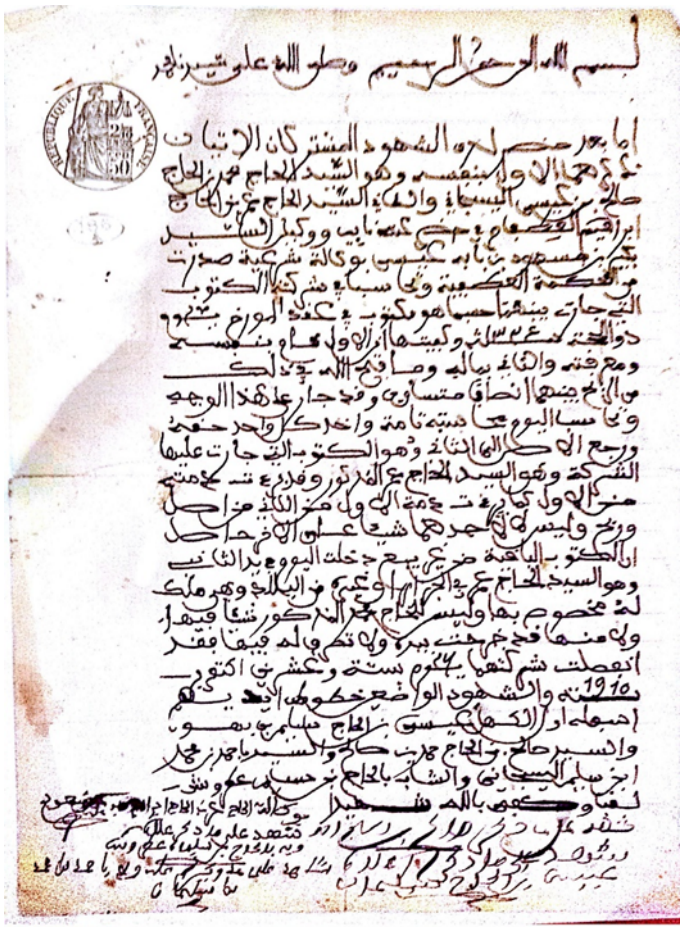

عقد مصور بحوزتنا

ردمد: ISSN 2602-618X

الصورة (4):

في مسجد سيدي رمضان بالقصبة خطّ الخطّاط محمد السّفطي كتاب تيسير التفسير للشيخ اطفيّش بتمويل من الحاج عمر بن إبراهيم العطفاوي.

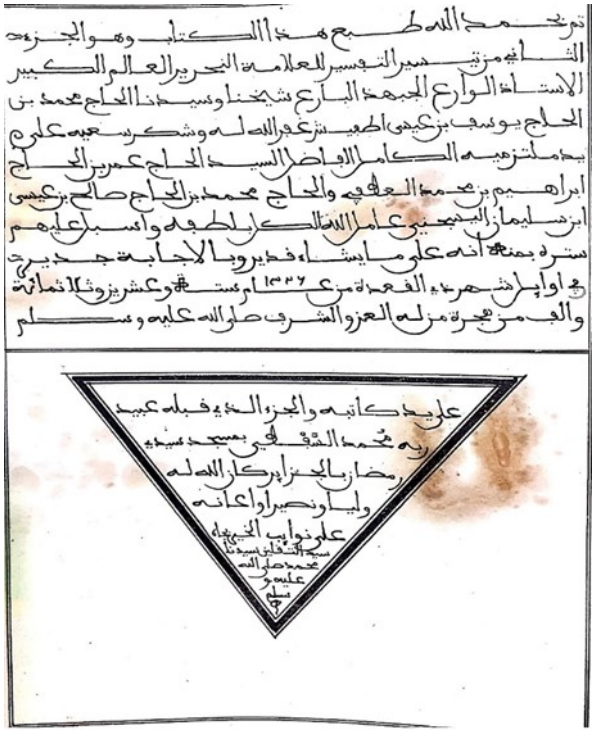

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من كتاب تيسير التفسير، الطبعة الحجرية

الصورة (5):

واجهة المصحف المغربي الشهير، برواية ورش، وعليها اسم الخطّاط الجزائري محمد السّفطي أو السّفاتي، الذي طبعته المطبعة الثعالبية لصاحبها رودوسي قدور بن مراد التركي سنة 1350هـ/ 1931م

الصورة من إحدى المواقع الالكترونية

10.المصادر والمراجع

الوثائق

•العقد الأول: اتفاق طبع كتاب التيسير وكتاب شرح عقيدة التوحيد، 18 ربيع الأول 1323هـ/ 1905م

•العقد الثاني: إقرار واعتراف، 30أفريل1909م

•العقد الثالث: محاسبة وانفصال شركة، 26أكتوبر1910م

•الديوان العمومي للتوثيق، مكتب الأستاذ حاج محمد باحمد بن محمد، موثّق بساحة تيضفت، غرداية، لفيف وفاة الهالك: حاج عيسى الحاج عمر بن بالحاج.

المراجع

- أَطْفَيَّشْ. محمد بن يوسف (1818-1914م)، ترتيب الترتيب لمسند الربيع بن حبيب، طبعة حجرية،
- ـــــــــــ، تيسير التفسير، 6 أجزاء، طبعة حجرية،
- ـــــــــــ، تيسير التفسير، تح: إبراهيم طلاي، ج1، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ط1، 2004م
- ـــــــــــ، جواب أهل زوارة وجامع حرف ورش، ضمن مجموع، طبعة حجرية،
- ـــــــــــ، شرح الدعائم، 2 أجزاء، طبعة حجرية،
- ـــــــــــ، شرح العقيدة وشرح الأحاديث الأربعين، ضمن مجموع، طبعة حجرية،
- ـــــــــــ، شرح عقيدة التوحيد، تح: وينتن مصطفى، الجزائر، جمعية التراث، ط1، 2001م.
- باحريز إبراهيم بن أحمد، (الشيخ أبو اليقظان والمطبعة العربية)، كتاب مهرجان الصحافي الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى في الذكرى الثلاثين لوفاته 1973-2003 المنعقد يومي 24/ 25 محرم 1424هـ- 27/ 28 مارس 2003م، الجزائر، جمعية التراث، ط1، 2001،

- البكري. الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، مقتطفات من مذكرات البكري، جمع وإعداد وتقديم ابنه: عبد الوهاب بكلي، العطف-غرداية-الجزائر، نشر مكتبة البكري، 1436هـ/ 2015م.
- جيلايلي أحمد، (الشيخ محمد بن يوسف أطفيش لغويا)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية-الجزائر، العدد12، 2011م، (ص.370-387)
- الربيع بن حبيب الفراهيدي، كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، جمع وترتيب الامام: أبي يعقوب يوسف الوارجلاني (ت.570هـ)، صحّحه وعلق عليه: الشيخ نورالدين السالمي (ت.1332هـ)، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط3، 2011م.
- شريف محمد عبد الحق، تعريف الطباعة، مقال من موقع ospress (دليلك في عالم الطباعة)، تاريخ الدخول: 13 جوان 2019م، من: 19:00 إلى 19:15.
- بن شريفة محمد، (حول تاريخ الطباعة العربية في المغرب العربي خلال القرن 19)، ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، منشورات المركز الثقافي، ط1، 1996م
- شريفي سعيد، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي، بيروت-لبنان، دار ابن كثير، ط1، 1998م
- جمعية التراث، لجنة البحث العلمي، معجم أعلام الاباضية. قسم المغرب الاسلامي، ج2، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م
- الرفاعي عبد الجبار، المطبوعات العربية في إيران، طهران-إيران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، 1414هـ،
- الشيباني. سلطان بن مبارك، تاريخ الطباعة والمطبوعات العمانية عبر قرن من الزمن (1878-1977م)، مسقط-عمان، ذاكرة عمان، ط1، 2015م
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ج8، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م

- كروم. الحاج أحمد حمو، (المطبعة البارونية ودورها في نشر الكتاب العماني)، ضمن كتاب: حركة الطباعة العمانية وأثرها في التواصل الحضاري، تحرير: وليد فكري فارس وآخرون، سلطنة عمان، ذاكرة عمان، ط1، 1440هـ/ 2018م
- كعباش. محمد بن إبراهيم سعيد، جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح، العطف-غرداية-الجزائر، نشر جمعية النهضة، 2010م.
- المعولي. زياد بن طالب، (مطابع النهضة...مسيرة عمل)، ضمن كتاب: حركة الطباعة العمانية وأثرها في التواصل الحضاري، تحرير: وليد فكري فارس وآخرون، سلطنة عمان، ذاكرة عمان، ط1، 1440هـ/ 2018م
- مكتبة القطب، فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني، الشهير بـ: القطب، يسجن-غرداية، الجزائر، شعبان 1434هـ/ جويلية 2013م
- ناصر. محمد صالح، المطبعة العربية. معلم وطني مجهول 1931-1962، الجزائر، مكتبة الريام، 2008م
- أبو اليقظان. إبراهيم بن عيسى حمدي، ملحق لسير الشماخي، القسم الأول، (بحث مرقون)